التناول التراثي للسانيات العرفانية ومنجزه المعاصر

linguistique cognitiveIn Arabicwritings , and Contemporarywriting

د.بوسغادي حبيب

المركز الجامعي عين تموشنت (الجزائر) ، habibalii15@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/04/30 تاريخ القبول: 2020/06/03 تاريخ النشر: 2020/06/30

ملخص:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية أن نميط اللثام عن اللسانيات العرفانية في الكتابات التراثية، واقعها المنجز لدى علمائنا وما نأمله كعلم قائم بذاته يحاول أن يحاصر الظاهرة اللغوية وعلومها بأشكالها وتفرعاتها المتعددة.

لقد عمل اللسانيون العرفانيون على قطع الخيوط الفاصلة بين الفروع المعرفية في اللسانيات العرفانية والفروع المعرفية المتقاربة والمتباعدة التي تقيم صلات علمية تواصلية معرفية بينها وبين غيرها.

على إثر ذلك انبثقت الإشكالية الآتية: أي غاية مرجوة من اللسانيات العرفانية؟ وما هو الهدف الأساسي الذي تسعى تحقيقه؟ وهل حقيقة أن أسلافنا قد أحاطوا به خُبْرًا في كتاباتهم؟ وما هي أهم المسائل والقضايا التي عالجوها؟

كلمات مفتاحية:اللسانيات العرفانية، الماهية، الكتابات العربية التراثية، المنجز المعاصر.

Abstract:

Through this research paper, we seek to unveil the cognitive linguistics in heritage writings, its reality accomplished by our scholars and what we hope as a stand-alone science that tries to besiege linguistic phenomenon and its sciences with its many forms and ramifications.

The customary linguists have worked to cut the lines separating the epistemic disciplines in the disciplinary linguistics and the convergent and distant epistemic disciplines that establish scientific, communicative, and scientific connections between them.

As a result, the following problem arose: What is the desired goal of the linguistic linguistics? What is the main goal that you seek to achieve? Is the fact that our ancestors surrounded him with news in their writing? What are the most important issues and issues that they dealt with?

Keywords: linguistique cognitive, the definition ;Heritagearabicwriting ; ContemporaryAchieved

[1]**المؤلف المرسل**: بوسغادي حبيب، **الإيميل**habibalii15@gmail.com

1.توطئة:

اللسانيات العرفانية تيار لساني حديث النشأة أطلّ علينا تقريبا في النصف الثاني من القرن العشرين، هذه النظرية انبنت على النظر في العلاقة التفاعلية بين اللغة البشرية والذهن والتجربة، بما فيها الاجتماعي والنفسي والبيئي؛ وبتعبير آخر هي :" من العلوم الحديثة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات النفسية مثل: علم النفس، الأنثروبولوجيا، الذكاء الاصطناعي، العلوم الحاسوبية، وكل العلوم التي تتصل بالمعرفة والإدراك بشكل عام، فهي تدرس الذكاء البشري وخلفياته البيولوجية وتجلياته النفسية وانعكاساته اللغوية"1

يحاول هذا التيار اللساني الإجابة عن جملة من الأسئلة من نحو: كيف نفكر؟ كيف يدرك العقل البشري اللغة؟ أي: كيف نستطيع التعبير عمّا ندركه بحواسنا وعمّا نفعله، وهل يمكن فصل اللغة عن آليات إدراكها؟ كيف نتمثل العالم من حولنا؟ كيف نكتسب المعلومات ونخزنها ونوظفها؟ كيف نعطي لتجربتنا في الحياة معنى؟

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة في الحقيقة لم يكن جديدا، وإنما الجدّة تكمن في أنّ الأجوبة عنها جديدة؛ " وبالتالي تعدّ المِقْوَلَة والفهم والخيال والتّجسّد من المقولات الأساسية التي تأسست عليها اللسانيات العرفانية في علاقتها بإدراك المعنى وفهم الذات والعالم من حوله، فالمعنى من منظور عرفاني ديناميكي ومرن، لأنه يتغير، فكم من جملة تدل على معنى لا صلة له بمعاني الألفاظ فيها وكم من خطاب معناه الحاصل غير المعاني التي في جمله"2.

لقد ارتبط ظهور اللّسانيّات العرفانيّة بأعمال عددٍ من اللّسانيين الّذين اهتمّوا بالبحث في علاقة اللّغة بالذّهن وعدلوا عن الاتّجاه السّائد خلال سبعينيّات القرن الماضي في شرح الأنماط اللّغوية لاكتفاء ذاك الاتّجاه بدراسة الخصائص الهيكليّة للّغة.

ولذلك ركّز اللّسانيّونالعرفانيّون على علاقة بنية اللّغة بالأشياء الخارجة عنها، من نحو ما ورد ذلك في أدبيات الجمعيّة الدّوليّة للعلوم العرفانيّة ICLA و تركيزهم على تلك العلاقة كان وراء تفنيد الادّعاء بأنّ المكوّن التّركيبيSyntaxمنفصلٌ عن سائر مكوّنات اللّغة و محكوم بمبادئ خاصّةٍ به؛ ومن أكثر الأعمال تأثيرا في هذا الاتّجاه العرفانيّ دراسات جيل فوكونييهG. Fauconier وراي جاكندوف .R Jakendoff وشارل فيلمور Ch. Fillmoreوجورج لايكوفG. Lakoffورونالد لانغاكير Langacker. Rفقد عمل كلّ واحد منهم على تطوير مقاربته الخاصّة في وصف اللّغة بالتّركيز على جهاز بعينه؛ غير أنّهم في المقابل، قد أجمعوا على أنّ اللغة هي محور الدّراسة و أنّ جميع البُنى اللّسانية جاءت لتخدِم المعنى والدّلالة التي غدت المحور الرّئيس في مقاربتهم العرفانيّة على نقيض مذهب تشومسكي الذي يُركّزُ اهتمامه على التّركيب فقد عُرِف لايكوف (1981، 1987)، مثلا بأعماله حول الاستعارة (Metaphor) والكناية (Metonymy) بينما أسّس لانغاكير (1987) النّحو العرفانيّ (Cognitive Grammar)) 3.

بهذا الشكل انفصلت اللسانيات الإدراكية كحقل مستقل من حقول علم اللغة الحديث عن العلم الإدراكي. تهدف اللسانيات الإدراكية في نهاية المطاف شانها شأن العلم الإدراكي عموماً إلى الحصول على بيانات (معطيات) عن النشاط العقلي ولهذا تمثل دراسة الوعي مادة مشتركة للعلم الإدراكي واللسانيات الإدراكية4.

هذا العلم يقوم على" دراسة العلاقة بين اللغة البشرية والذهن بما فيها الاجتماعي والمادي والبيئي، أي العلاقة بين بين اللغة والذهن والتجربة الاجتماعية والمادية والبيئية" 5

فإذا كانت النظرية التوليدية تقوم على أساس النحو الكوني الذي ترى أنه " مركوز في عضو ذهني من الدماغ مخصوص هو اللغة، فخلاف لهذا الرأي يؤكد التيار العرفاني " تجذر تلك المبادئ الكونية في الملكة العرفانية فينتفي بذلك وجود عضو ذهني مخصوص باللغة، فاللغة إنما هي وليدة نشاط عرفاني مركوز في المولدة العرفانية العامة التي تمثل نشاط الدماغ عضوا ماديا" 6

على إثر ذلك يمكن تصور العلاقة بين اللغة والذهن كما تطرحها نظرية اللسانيات العرفانية على النحو الآتي:العقل صندوق تتم فيه كل الأنشطة الذهنية التي تقوم عليها العلوم المعرفية، ومن بينها اللسانيات العرفانية التي تدرس بدورها العمليات العقلية المتصلة باللغة كإحدى مكونات هذا الصندوق فتتأثر اللغة بكل خصائص العقل ونشاطه كسائر العلوم العرفانية لأنها جزء من النظام" 7

كما أورد الباحث Lazard رأيا له اتجاه اللسانيات العرفانية قائلا:" تدمج عادة اللسانيات وهو أمر وارد إذا اعتقدنا أن الفكر الإدراكي مرتبط باللغة وفي المقابل إذا كنا واعين بخصوص الظواهر اللغوية، فإننا ننظر إليها كعلم مقرون ولكن متميز وفي كلتا الحالتين يبقى مفهوم اللسانيات المعرفية غامضا، في الحالة الأولى إن أية لسانيات تعتبر معرفية، وفي الحالة الثانية لا يوجد أية لسانيات عرفانية "8

2.الكتابات الآكاديمية الجزائرية في هذا العلم:

يتأسس هذا العنصر على إيراد بعض الكتابات الآكاديمية الجزائرية التي كتبت حول اللسانيات العرفانية، وكان اعتمادنا في ذلك على ما جاء في المنصة الوطنية للمجلات، وهذه دلالة واضحة لدى باحثينا الاهتمام بهذا النوع من العلوم اللسانية الوافدة إلينا، ومن البحوث التي كتبت في هذا المجال: بحث موسوم بـ: تلقي اللسانيات العرفانية في الخطاب اللساني العربي الأزهر الزناد ومحمد الصالح البوعمرانيأنموذجا المنشور بمجلة حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية في عددها السابع والعشرين من إعداد كرميش حنان، التي حاولت تسليط الضوء على عالمين اثنين برعا في مجال "اللسانيات العرفانية" linguistique cognitive التي وفدت إلى العالم العربي، وهما "الأزهر الزناد"، و"محمد الصالح البوعمراني" اللذين حاولا التعريف به وبخصوصيته وقد أحدثت الدراسات اللغوية البارزة على الساحة العالمية- حيث نجد هذه الأخيرة حظيت باهتمامهما، ويظهر ذلك خصوصا في عودتهما إلى منابت النظريات اللّسانية العرفانية " cognitive linguistique ليضيفا إلى المختبر البحثي العربي مباحث نادرة في عرض نظري واضح، وتحليل مؤسس على دقة الوعي بإشكالات تطبيق هذه النظريات" فالعرب لم يكونوا بمعزل عن هذا الحقل المعرفي الجديد، فقد آثروا الخوض فيه من أجل احتواء مبادئه، ومفاهيمه، وتطبيقها.

ومن الكتابات أيضا في هذا المجال البحث الموسوم بـ: الممارسة العرفانية في التراث العربي من نسق الإنتاج إلى نسق الاستقبال المنشور بمجلة اللغة العربية في عددها الثاني بالمجلد الواحد والعشرين من إعداد الباحثة صليحة شتيح، وهو بحث يهدف إلى الكشف عن ملامح الممارسة العرفانية في التراث العربي والإسلامي، من خلال التركيز على الفعل النقدي والبلاغي، وتتبّع مسارات تولّد نموذج التفكير العرفاني عند العرب، ذلك أنّهم سبقوا إلى طرح العديد من القضايا العرفانية بفكرهم الموسوعي، واعتمدوا على استراتيجية التّداخل المعرفي في تفسير العملية الإبداعية؛ فعمدوا إلى الحديث عن المؤشرات التي يحتاجها الخطاب الإبداعي قبل عملية الإنتاج كالإدراك والذكاء والذاكرة الإبداعية، وتعمّقوا في عرض آليات الصياغة العرفانية بالوقوف عند ميكانيزمات البناء والتّركيب والتصوير. كما تحدّثوا عن آليات التلقي والمعالجة العرفانية، واعتبروها مرحلة لاحقة للإبداع، ترتبط بالمتلقي وتعتمد على منوال الاستدلال من أجل بناء الفهم وتشكيل الدلالة، لتكتمل مقاربتهم للعملية الإبداعية وفق براديغم الصناعة العقلية، والتمثّلات الاجتماعية التي فرضتها الذائقة الأدبية.

ولابأس أيضا أن نشير إلى ما كتبه ضبعي النذير وعابي عبد السلام البحث الموسوم " من اللسانيات التوليدية إلى اللسانيات العرفانية: تحولات المباحث والمفاهيم" المنشور بمجلة اللسانيات في عددها الأول بالمجلد الرابع والعشرين، وقد أشارا إلى هذا البحث إلى فكرة مؤداها أنه قد تقرر عند الباحثين اللسانيين أن تشومسكي قد أحدث طفرة في اللسانيات عندما نأى بنفسه عن الدراسات البنيوية، واختط لنفسه منهجا يقوم على العقلانية والتفسير، ويروم الوقوف على قدرة العقل على إنتاج اللغة وفهمها، وقد التف حول أفكاره ثلة من الباحثين والعلماء الذين تبنوا أفكاره ووسعوها، لكن سرعان ما وجهوا لها الكثير من النقد وبخاصة لقضية "مركزية التركيب" عند تشومسكي، لينخرطوا في ما يسمى بالبحث العرفاني. وقد جاء هذا المقال ليجلي شيئا من ذلك ويبين أهم المباحث التي ميزت اللسانيات العرفانية عن اللسانيات التوليدية.

وأشار حمو الحاج ذهبية في بحث له موسوم مقدّمة في اللسانيات المعرفية المنشور في مجلة الخطاب في العدد الرابع عشر بالمجلد الثامن، إلى أنّ اللّغة هي الوسيلة التي اعتمدها الإنسان منذ الأزل للتعبير عن حاجياته ومكنوناته الخفية، وهي محل استلهام حاول من خلالها فهم العالم، وفهم الذّات، والعلاقات التي

تربطه بكلّ العوالم الممكنة، وإن كانت اللغة متعدّدة الأشكال، فالإنسان وظّفها لأغراضه معبّرا عن قدراته التواصلية والاستنتاجية والاستدلالية، إذ ما فتئ متمكّنا من الولوج إلى الجانب الخفّي واختراقه نظرا لما أوتي به من كفاءة إدراكية ومنطقية واجتماعية

كما كتب عبد الكريم جيدور بحثا وسمه بـ: " اللسانيات العرفانية ومشكلات تعلم اللغات واكتسابها" المنشور بمجلة العلامة في عددها الثاني بالمجلد الثاني، محاولا فيه تقديم مراجعة أولية للمقاربة العرفانية في مجال الدراسات اللسانية التي تقدم نفسها في كثير من أدبياتها بديلا أكثر نجاعة لما سبقها لاسيما المقاربة التوليدية التحويلية. ومن المجالات الكثيرة التي ساهمت هذه المقاربة في تجديد النظرة إليها تبرز القضايا والمشكلات المتصلة باكتساب اللغة وتعلمها كونها قاسما مشتركا تلتقي عنده انشغالات مترامية الأطراف لا تعني علماء اللسان وحدهم، لكنها تطال بالضرورة ميادين أخرى كعلم التربية، وعلم النفس، فضلا عن علوم الدماغ والحاسوبيات، وكل ميدان من هذه الميادين يقدم وجهة نظر محددة في تشخيص المشكلات واقتراح الحلول. وقد رأينا أن المعارف والكتابات حول هذه المستجدات في الجزائر شحيحة وغير وافية، فلعل هذا البحث يكون مساهمة في طريق طويل نحو ترسيخ المقاربة العرفانية، وإيجاد بيئة ملائمة لتطبيقاتها المتميزة في العديد من الدراسات البينية.

كما ساهمت مجلة العمدة ببحثين موسومين على التوالي: اللسانيات المعرفية واللسانيات المستقلة للملاخ علي، و مفاهيم لسانية عرفانية من إعداد عماري عز الدين المنشورين في العدد الرابع من المجلد الثالث، أما الأول فقد انبنى موضوعه على تقييم العلاقة بين " اللسانيات المستقلة" و" اللسانيات المعرفية"، تتأسس هذه العلاقة على موضوعات ذات طبيعة سجالية تشكلها مجموعة من التيارات الصورية وبشكل خاص اللسانيات التشومسكاوية، وتقبل هذه التيارات التجميع تحت مسمى" اللسانيات المستقلة". وسيتبين مكن خلال الدراسة المقدمة أن " الاستقلالية" ليست مصطلحا بسيطا عندما يُطبَّق على النظرية اللسانية. وسيكون من غير اللائق تخصيص نظرية معينة بشكل حاسم بخاصية الاستقلالية أو عدمها. ويصدق ذلك أيضا على اللسانيات المعرفية التي ليس من اللائق البتة اعتبارها نظرية تسعى إلى استبعاد الاستقلالية في جميع مناحيها؛ أما الثاني فقد قدم جهازا مفاهميا حول اللّسانيات العرفانيّة، والتي

ترتبط أساسا بالدّراسة النّفسيّة التي تهتمّ بعمل الدّماغ و متابعة العمليّات العقليّة المختلفة التي تتّصل بالمعرفة الإنسانيّة و الإدراك بشكل عام، كما يرتبط تاريخيا بمجموعة من الأعمال التي ظهرت ابتداء من منتصف السبعينيات على يد كل من "روش، " Rosh،و " لايكوف" Lakoff، و غيرهما، و هي أعمال تلتقي – رغم اختلاف المنطلقات – في مجموعة من الأسس والمبادئ النظرية والمنهجية التي تعتبر الظاهرة اللغوية ظاهرة نفسية ذهنية لا يمكن فهمها إلا في علاقتها بباقي الظواهر الذهنية الأخرى، كما تقر باستقلاليّة النّظام اللّغويّ ، حيث لا يمكن الفصل بين المعرفة اللّغويّة و التّفكير بشكل عام.

إلى غير ذلك من البحوث التي ضربنا عنها صفحا لكثرتها وتشعب مسائلها، وإننا ننير درب القارئ المبتدئ أو المتخصص أن يعود إلى المنصة العلمية ويغترف منها.

3.معرفة العرب القدامى للتعابر المعرفي (الموسوعية في كتاباتهم):

إنّ الباحث في التراث العربي الإسلامي يجد أنّ القدامى قد عرفوا خاصية التعابر المعرفي بين العلوم ومارسوها في مؤلفاتهم حين كانوا يأخذون من كل علم بسهم ولا يقتصرون في كتاباتهم على علم واحد فقط، بل يتحدثون عن معارف وفنون مختلفة في كتاب واحد تحت مسميات متعددة وفق منظور عام هو المعرفة الأدبية، وهي السمة التي اتصف بها التأليف العربي منذ القرن الثاني الهجري؛ وفي هذا الصدد يقول الأستاذ الكواز:"كان المؤلفون يجمعون كل قريب أو بعيد مما يؤلفون فأنتجوا المؤلفات ذات الصبغة الموسوعية وكانت دلالة الأدب عنهم الأخذ من كل شيء بطرف"9؛ لترتبط معرفة الشعر والأدب بمختلف المعارف الموسوعية المجاورة للأدب؛ إذ لم يقصروا تنظيراتهم النقدية وتفريعاتهم البلاغية وتطبيقاتهم على وضع تعريف شامل للشعر أو الاتفاق على عمود يقيمه فقط، بل ذهبوا في حديثهم عن الإبداع الأدبي وجهات عديدة فتعاملوا معه بوصفه ظاهرة لغوية واجتماعية ونفسية وعقلية واستعانوا في ذلك بمعارفهم الموسوعية ضمن بوتقة التضايف المعرفي لتفسير العملية الإبداعية؛ فلم يعد من الممكن الآن تصور وجود منظومة نقدية بلاغية في تراثنا العربي بعيدا عن خاصية التعابر المعرفي الذي مارسه القدامى10.

4.القضايا العرفانية التي تناولها الدرس النقدي والبلاغي القديم:

ارتأينا أن نضع خطاطة نبين فيها أهم القضايا التي ضمها الدرس النقدي والبلاغي العربي القديم؛ ثم نعرج بعد ذلك إلى تناول أهم النقاط الرئيسة التي نهض عليها المبحث العرفاني:

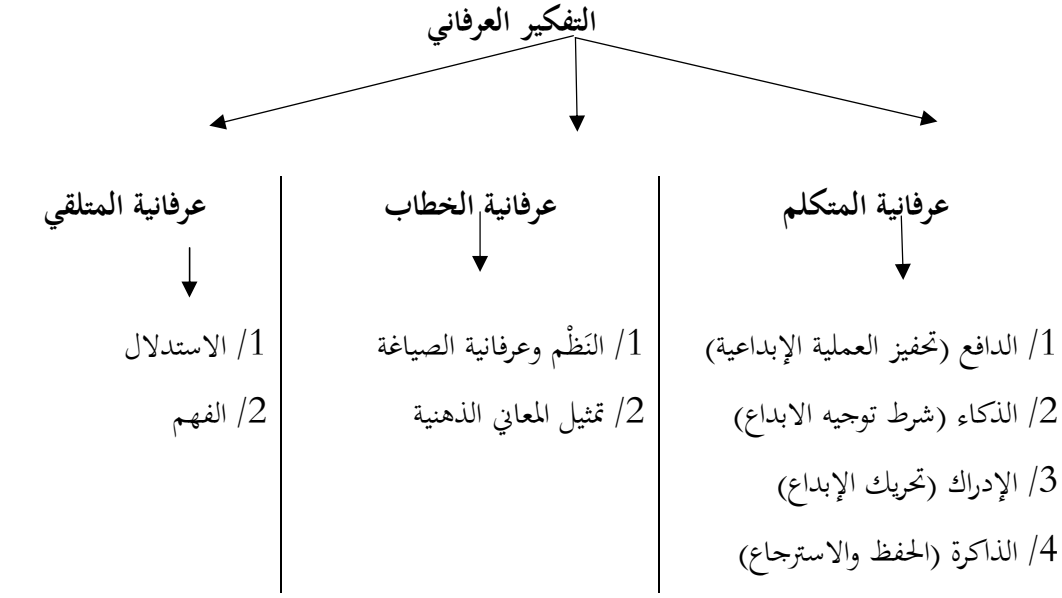

1.4.عرفانية المتكلم (الباث):

لقي المتكلم اهتماما كبيرا في الدرس النقدي والبلاغي العربي القديم؛ إذ نجد أنّ أغلب الدارسين قد أسهبوا في الحديث عن حالاته في أثناء قول الشعر والظروف المصاحبة لذلك، وفصّلوا في كتب النقد والبلاغة الشروط الواجب توفرها ليكون شاعرا مفلقا مجيدا ابتداء من القرن الثاني، فنجدهم قد تحدثوا عن قضايا عرفانية بحتة حين اعتبروا أنّ الشعر معرفة ذهنية لصيقة بالبنية العرفانية (cognitive structure) للمتكلم ليكون هذا الأخير البؤرة التي تولد الشعر اعتمادا على آليات ذهنية عرفانية يقوم بها العقل الإنساني11، ومن هذه الآليات مايلي:

1.1.4. الدافع (تحفيز العملية الإبداعية):

إنّ القول بأنّ الشعر معرفة ذهنية يجعلنا نسلّم بأنّ هذه المعرفة لا تأتي عبثا ولا تنتج من غير محفّز يبعث عليها، فالقول عموما يحتاج إلى دافع يوجّه مساره ويعمل على بلورته ضمن نسق معرفي دون آخر، غ ّ لا يمكن الحديث عن الذات المتكلمة دون الوقوف عند قضية الدوافع التي تحدّث عنها علم النفس المعرفي (psychologie cognitive) وأظهر أهميتها في توجيه الفرد وتفسير سلوكه.

لقد جعل النقاد القدامى12 الأغراض الشعرية خاضعة للتقسيم العرفاني؛ إذ ارتبطت بالدوافع الباعثة على قول الشعر13، يقول ابن رشيق:" وقالوا قواعد الشعر أربع: الرغبة والرهبة والطرب والغضب، فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع"14؛ وهكذا تبنى الأغراض على وفق الدوافع التي تأخذ بأيدي الشاعر ليختار سياقا معينا لقصيدته.

وهكذا تلعب الدافعية في توليد الشعر لدى الشاعر والذي يرتبط بدوره بعمليات عرفانية يقوم بها، حيث تتمظهر في " كلّ أنواع السّلوك من تعلّم وأداء عملي وإدراك حسّي وانتباه وتذكّر ونسيان وتفكير وإبداع وشعور"15، وهذه العمليات ترتبط بالبنية الذهنية للشاعر وهي التي تبث فيه القدرة وتمنحه الدافعية لأن يقول شعرا وفق ما يقتضيه الغرض الذي يريد أن يَنْظُم فيه قصيدته.

وانطلاقا من هذا التقسيم راح النقاد يجعلون الشعراء متفاوتين في المراتب فقالوا:" من الناس مَنْ شعره في البديهة أبدع منه في الروية، ومن هو مجيد في رويته وليست له بديهة وقلّما يتساويان، ومنهم من إذا خاطب أبدع، وإذا كاتب قصّر، ومنهم من بضد ذلك، وقد يبرز الشاعر في معنى من معاني مقاصد الشعر دون غيره من المقاصد، ولهذا قيل أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، وعنترة إذا كَلِب، والأعشى إذا طرب"16؛ لتكون طبيعة الحافز هي الموجهة لجودة الشعر، وقوة الدافع هي المفعّلة لعملية الإنتاج، على اعتبار أنّ نظم الشعر يخضع لعمليات عرفانية وعقلية تسهم بشكل كبير في تقرير مقدار التفاوت بين شاعر وآخر، وهو ما يجعل الدافع لصيقا بالمتكلم (الشاعر) في الثقافة

العربية وهو ما يعبّر عن كلّ "حالة داخلية جسمية أو نفسية تثير السلوك في ظروف معينة وتواصله حتى ينتهي إلى غاية معينة"17

في محصلة هذا العنصر نجد أنّ العرب قد بنوا قواعد الشعر على قضية الدوافع التي تعد بمثابة محفزات تعمل على تنشيط العمليات العرفانية التي يقوم بها الدماغ، فييسر على الشاعر قول الشعر وينحى فيها منحى يتناسب وقدراته العرفانية ومقاصده الإجمالية.

2.1.4 الذكاء –شرط توجيه الإبداع:

يحتاج العمل الإبداعي إلى توفير كفاءة ذهنية (mental efficiency) مناسبة عند المتكلم، يتوسل بها في سلك أوجه الإبداع وفتق ملكة الخلق لديه ليتمكن من تنشيط مجاله التخييلي وطاقته الإبداعية فتجود قريحته بخطاب إبداعي تتوافر فيه ملامح الجمالية، ويحتاج في هذا إلى تفاعل العديد من العناصر الذهنية أبرزها الذكاء.

من هنا وجب القول أنّ الذكاء يعدّ شرطا ضروريا يساعد المتكلم في معالجة المدخلات التي يستقبلها من المحيط الخارجي وهو يشحذ الملكة الإبداعية ويمنح الشاعر القدرة التي تجعله ينتقي تقنياته الإبداعية في سياق يتناسب مع الخلفية المعرفية للمتلقي، ويتماشى مع التمثلات الاجتماعية (social implication) التي أنتج خطابه فيها18.

وبالعودة إلى الدرس النقدي والبلاغي القديم نجد ثلة من الدارسين من جعل الذكاء شرطا ضروريا لنجاح العملية الإبداعية؛ فمثلا وجدنا علي الجرجاني يعتبره من شروط الإجادة في صناعة الشعر، يقول:" الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه؛ فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرّز وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان"19، من خلال هذا النص نجد الجرجاني قد جمع بين الطبع والرواية والذكاء؛ تقول الباحثة شتيح:" الطبع يجعل الكلام ينساب بديهة من ذهن الشاعر والرواية التي تعضد ذلك الطبع وتوجهه، ثم

الذكاء الذي يمنح الشاعر القدرة المائزة لتساعده على وضع الأمور في نصابها واختيار الملائم لغرضه...ومنه يستطيع الشاعر أن يقيم تفاعلا مناسبا مع المثيرات التي يتلقاها من الخارج، وبناء على حصول هذه الشروط يستقيم وضع الشعر وتنسجم آليات المعالجة الذهنية في عقل الشاعر تدريجيا بدءا بالطبع ثم الرواية ثم الذكاء ليكون بهذا عنصرا مهما وشرطا أساسا تقوم عليه الروائز التي اتفق عليه الدارسون القدامى عند تعريفهم للشعر"20.

وكمحصلة لعنصر الذكاء أمكننا القول أنّ تحفيزه يجعل الفرد يقدم سلوكات إيجابية تعكس مستوى قدراته غير المحدودة، ويعتمد هذا على ما تمدنا به الدراسات الحديثة على غرار علم النفس المعرفي والعلوم العصبية من أنّ للدماغ قدرة خارقة في التحليل والاستقراء والاستنباط؛ كما أنّ سلوكات الأفراد هي المحدد للفروق الحاصلة في نسبة الذكاء بينهم، فالجميع يمتلك قدرات تؤهله لأن يكون مبدعا لكن الذي يحفز تلك القدرات هو الذي يستطيع استغلال طاقاته الكامنة وينشط عملياته العقلية ومن ثمّ يزيد من قدراته الإبداعية، يقول ابن أبي الأصبع: " من كان له ميل إلى عمل الشعر وإنشاء النثر أن يعتبر أولا نفسه ويمتحنها بالنظر في المعاني وتدقيق الفكر في استنباط المخترعات فإذا وجد لها فطرة سليمة وجبلّة موزونة وذكاء وقادا وخاطرا سمحا وفكرا ثاقبا وفهما سريعا وبصيرة مبصرة وألمعية مهذّبة وقوة حافظة وقدرة حاكية وهمة عالية ولهجة فصيحة وفطنة صحيحة...إذا كملت في الشاعر والكاتب كان موصوفا في هذه الصناعة بكمال الأوصاف النفسية التي إذا أضيفت إليها الصفات الدّرسية تَكْمُل وتَجْمُل"21.

3.1.4. الإدراك – تحريك الإبداع:

يعدّ الإدراك المدخل الأساس الذي يستطيع بوساطته العقل أن يتلقى المعرفة ويعالجها ويفهمها فهو يمثل " القدرة على فهم وتحليل المعلومات التي تنقلها الحواس إلى العقل الإنساني (الدماغ)"22؛ حيث يتم التعرف على تلك المعلومات وفرزها عن طريق عملية الانتباه ثم يأتي دور الإدراك لتحليلها وفهمها بوساطة أنظمة المعالجة العرفانية.

لقد أولى الدارسون العرب الإدراك عناية بالغة، إذ نجد كتبهم مليئة بنصوص كثيرة حول ماهية الإدراك وعلاقته بالعقل وانواعه وأهميته في العملية الإبداعية إذ يمكن أن يلاحظ القارئ للكتب التراثية أن مفهوم الإدراك قد نال حظا وافرا من الاهتمام؛ ولو نعود إلى الدرس البلاغي القديم لوجدنا بعض الدارسين قد أقاموا حديثهم عن التشبيه على معطيات إدراكية محضة، وجعلوا بناء الصورة الشعرية معتمدا على العملية الإدراكية...وفي حديثهم عن الاستعارة اعتبروها بناء ذهنيا وصورة من صور إدراك الشاعر للوجود، ذلك أنّها تستند إلى نشاط ذهني ومجال تمثيلي من أجل تشكيل تلك التشبيهات وخلق أنساق تصورية يستحضرها العقل حين يذكر الشاعر ما يدل عليها، فهي لا يمكن أن تستقل – بأي شكل – عن البناء العرفاني الذي يدركه الشاعر، ومن ثم يعتمد عليه في تكوين لغته انطلاقا من المرجعيات الاجتماعية والثقافية التي توجه نسقه التصوري23.

في هذا الصدد نجد عبد القاهر الجرجاني الأهمية الكبرى للإدراك الحسي، حيث يؤكد على أنّ"أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعمّا يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأنّ العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدّ الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ القة فيه غاية التمام"24.

وهنا تتمظهر أهمية الإدراك الذي يكون عن طريق الحواس في اكتساب المعرفة وتلقيها، ليتسنى للشاعر بعد ذاك قادرا على توظيفها وفق الغرض الذي يريد البحث فيه معتمدا على عملياته العرفانية.

إنّ الشعراء القدامى صوروا نمط حياتهم ووصفوا ديارهم وتغزلوا بالنساء على تشبيهات وصور استقوها من المدركات الحسية التي تمثل نمط معيشتهم وتشكل جزءا عينيا يمكن مشاهدته أو الرجوع إليه.

من خلال ما سبق طرقه أمكننا القول أنّ الإدراك في جوهره يرتبط " بمنتج الخطاب في البيئة المعرفية العربية؛ إذ يعتبر عملية عرفانية مهمة يُعْتَمَد عليها في تشكيل التمثلات الذهنية حول الأشياء التي يتلقاها الفرد من الخارج، ليتمكن من تنظيمها على شكل معرفة حسية ومجردة يعالجها الدماغ ويستفيد منها المتكلم في التعبير عن خبراته"25.

4.1.4. الذاكرة –الحفظ والاسترجاع:

إنّ الحديث عمّا يحصل في أثناء اكتساب العقل المعرفة يرتبط بالإحساس والانتباه والتعرف والإدراك ثم يأتي التساؤل عن عملية تخزين هذه المعرفة في الذهن وكيفية استرجاعها.

في هذا السياق نجد العرب القدامى قد تحدثوا عن دور الذاكرة في تنشيط العملية الإبداعية انطلاقا من طريقة اشتغالها، وهذا الذي توصلت إليه بعض الدراسات المعاصرة في مجال علم النفس المعرفي ط حيث تمر وفق الطرح العربي العملية الإبداعية بثلاث مراحل هي:

- عملية التحويل الشفري، بحيث نجد الفرد بعد أن يدرك المعلومة يقوم بتشفيرها عبر مستوى الذاكرة لتتحول إلى شفرات ذات مدلولات خاصة.
- عملية التخزين، في هذه المرحلة تحتفظ الذاكرة بالمعلومات، إلى حين الاحتياج لها يقوم الفرد باسترجاعها.
- عملية الاسترجاع، تشير إلى إمكانية استعادة الفرد المعلومات التي سبق أن اختزنت في الذاكرة.

وفي كل هذا يؤكد الباحثان رافع الزغلول وعماد الزغلول " المعلومات حال ما يتم ترميزها في هذه الذاكرة تبقى بصورة دائمة وتتوقف عملية استدعائها على توفر الظروف أو الشروط المناسبة"26.

كما لا نستغني عن أهمية السياق الخارجي الذي يحيط بالمتكلم في تنشيط عملياته العرفانية واستثارة مخزونه الذهني في أثناء التعبير عن التجربة الشعورية التي يؤلف الكلام حولها.

2.4./عرفانية الخطاب:

من يطالع الدرس النقدي القديم يجد عدة قضايا أسالت الحبر الكثير لدى علمائنا، ولعل أبرز قضية طفت إلى السطح قضية اللفظ والمعنى في تراثنا البلاغي؛ ولعل" نظرية النظم التي جاء بها الجرجاني كان لها دور كبير في الحديث عن مقتضيات العملية الإبداعية لأنها تجمع الإبداع بصاحبه من حيث التركيز على دور الحركة الذهنية في توجيه العملية الإبداعية بدءا بتحقيق عنصر التلاحم الشكلي، وانتهاء بانسجام الدلالة مع هذا التركيب، وفي الحديث عن المعنى نجد إشارات عديدة لعلاقته بالحركة الذهنية لمنتجه ومتلقيه أيضا في استخراج الدلالة من الخطاب ليكون هذا الأخير بؤرة مركزية تجمع طاقة إبداعية مستندة إلى روائز عرفانية متعددة"27.

ومن القضايا العرفانية التي قام علماؤنا بربطها بالخطاب الأدبي ما يلي:

1.2.4 النظم وعرفانية الصياغة:

يرجع استعمال اللغة إلى النظام العرفاني المتحكم في أصلها بالدماغ، فلا يمكن عزلها عن النشاط العرفاني الذي يقوم به الذهن لتوليد المعاني والدلالات حيث يرتبط استعمالها بمجالها التمثيلي عند الفرد ليكون إنتاج المادة القولية تابعا للرصيد اللغوي الذي يمتلكه ويختزنه، من هنا جعل الدارسون "أصل البلاغة هو تركيب المعاني القائمة في النفس فإذا كملت تركيبا ونظاما صارت في النفس كلاما فإذا احتيج إلى التعبير والدلالة على ما في الضمير ركّبت عليها ألفاظ منظومة نظم العقود، وألبست منها حللا مرموقة رقم البرود، فانتقلت بها من الجنان إلى اللسان، فحصل الإفهام عند استماع الكلام"28.

من هنا أكد الدارسون على أنّ مجال استعمال اللغة يكون خاضعا لمجالها التمثيلي في الدماغ وكل تلفظ يكون نابعا من الوجود النفسي له، وكلما كان هذا الوجود مستقيما معتمدا على المعرفة الصحيحة كانت اللغة المعبر بها أقرب إلى الصواب عما يجول في الذهن؛ تقول شتيح: " لا تخرج الغاية التي سعى إلى تحقيقها عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم عما ذهب إليه البلاغيون العرب في الهدف من البلاغة إذ إن

الحديث عن مقتضيات النظم في الإنجاز اللغوي هـ حديث عن شروط الكلام وما ينبغي الانتباه له في أثناء تأليف الخطاب من معطيات نحوية وتركيبية ودلالية يستقيم بها الكلام ويحدث الإبلاغ ويحصل الفهم عند المتلقي، أصبح ينظر إلى الخطاب من منظور تداولي معاصر على أنه جمع بين البنى اللغوية الداخلية والبنى الخارجية وحصيلة هذا الجمع هي التي يمكن القول عنها إنها المرجعية التي تؤطر الخطاب"29.

وفي السياق ذاته يؤكد الجرجاني أنّ النظم عملية عقلية تستند إلى آليات ذهنية وميكانيزماتعرفانية يقوم بها العقل في تعليق الكلام مع بعضه، وها هو يؤكد على هذه الخاصية قائلا:" ليس الغرض بنظم الكلم أن توات ألفاظها في النطق بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل وكيف يتصور أن يقصد به إلى توالي الألفاظ في النطق بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وانه نظير الصياغة والتحبير والتفويف والنقش وكل ما يقصد به التصوير"30.

وهو بهذا الكلام يشير إلى دور العقل في تنظيم الكلام وتنسيقه وفق النظام العرفاني الذي يوجهه.

2.2.4. تمثيل المعاني الذهنية:

تعتمد عملية التمثيل على النظام العرفاني، فهو الذي يقوم بتحويل كل ما يتلقاه الفرد من معلومات إلى نماذج ومعطيات ذهنية تصور المدركات الغائبة عن الذهن حول موضوع معين، حيث تحيل عملية التمثيل إلى التصوير الذهني الذي يقوم به العقل حول المعرفة البشرية عموما.

وحين نتحدث عن المعاني الذهنية فإننا نستحضر البحث في مجال علم الدلالة العرفاني (cognitive semantics) الذي ينهض على أربعة عناصر أساسية تساعدنا على معرفة المعنى وفهم القضايا المتعلقة به وهي:

1/ المَقْوَلَة: نظرية تؤسس لكل ممارساتنا الإدراكية وتحكم نشاطنا الذهني وتقوم على سؤال محوري يرتبط بالانتماء إلى المقولة؛ أي: على أي أساس يتحدد انتماء عنصر ما إلى مقولة ما؟

2/ الفهم:

3/ الخيال: يعتبره العرفانيون جوهر المعنى والتفكير الإنساني وهو الذي يبين جزءا كبيرا من نظامنا التصوري.

4/ المعنى المتجسد: لا وجود للمعنى والخيال بعيدا عن عالمنا المتجسد ذلك أننا نفهم الأشياء من حولنا انطلاقا من حضورنا الجسدي في الزمان والمكان 31.

لقد اهتم الدارسون العرب بقضية المعنى وأشاروا إلى أن الذهن يقوم بتمثيل المعاني التي يريدها المتكلم ورسموها بـ (المعاني الذهنية)، يعرفها حازم القرطاجني على أنها " الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدركه حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصور الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبّر عنه هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ"32.

وتستغرق عملية تمثيل المعاني أبعاد المعالجة المعرفية في الذهن لأنها تتصل بتحيين الدلالة في شقيها السطحي والعميق وعلى مدار هذه المعالجة يصبح الخطاب أكثر طواعية واستجابة للممارسة العقلية بغية الكشف عن المعنى وإخراجه من الجانب المكثف دلاليا عن طريق التمثيل والتصوير إلى الجانب المكشوف لتكون " عملية الانتقال من دائرة الدلالة الوضعية المطابقة للألفاظ بمعانيها الموضوعة في أصل المعنى إلى الدلالات العقلية بمعانيها الذهنية هي التي تمنح الفكرة المنضوية في تلك الألفاظ الزيادة والنقصان في الوضوح والخفاء"33؛ ووفق هذا النسق يتم النظر إلى المعاني التي ترتبط بالجانب الخلاّق في العملية الإبداعية ليكون الوقوف عند طريقة انتظامها وتمثلها الذهني عاملا مساعدا في نزع الغموض عنها وتجلية دلالتها العقلية العميقة من تمظهرها اللغوي المجسّد34.

3.4.عرفانية المتلقي:

يعد المتلقي محورا مهما يعمل على إعادة إنتاج النص وملء فراغاته وتوجيه دلالاته انطلاقا من خلفيته المعرفية المنفتحة على مختلف المداخل الموسوعية التي يستقي منها معلوماته فهو يشارك إنتاج النص بتوجيهه وفق المسار الذي يمنحه له نظامه المعرفي، لذلك اهتم الدارسون العرب بالمتلقي كعنصر فعال في العملية الإبداعية على اعتبار أنه لا يمكن أن ينتج المتكلم خطابا دون استحضاره لمن يتلقاه.

وحتى تكون الكيفية التي تطرح بها المعاني ويتم تأويلها تأويلا صحيحا لابد من:

1.3.4. الاستدلال:

عرّف الباحثان سبربرو ولسون الاستدلال بأنه " سيرورة يتم عبرها قبول فرضية بوصفها صحيحة أو محتملة الصحة انطلاقا من فرضيات أخرى، تمّ قبول صحتها أو احتمال صحتها منذ البدء، وهو من أشكال تثبيت الاعتقاد"35؛ حيث يتجلى البعد العرفاني للاستدلال في كونه آلية ذهنية صادرة من العقل من أجل الوصول إلى النتيجة المتوخاة أو الهدف المنشود، انطلاقا من مقدمات يتلقاها من المحيط المعرفي.

لقد تعرض الدارسون العرب لأقسام المعنى من ناحية قدرة المتلقي على الفهم وتحصيل الدلالة سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فالأول نصل من خلاله إلى المقصد دون الاحتياج إلى قياس أو تأويل والثاني لابد من حضور التأويل عن طريق الاستدلال، يقول ابن الأثير:" المعنى المحمول على ظاهره لا يقع في تفسير خلاف والمعنى المعدول عن ظاهره إلى التأويل يقع فيه الخلاف إذ باب التأويل غير محصور"36.

وفي السياق ذاته يجعل الجرجاني الكلام على نوعين:" ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد؛ وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل"37.

وعليه فإنّ الأخيرة لا تجلي المعنى المقصود بل تحتاج إلى عمليات ذهنية تتوزع على مجالات الإدراك والانتقال بين طرفي الدلالة في شقها اللغوي والسياقي لتحريك منوال الاستدلال من أجل الوصول إلى قصد المتكلم، وهو ما يصطلح عليه الجرجاني بمعنى المعنى، أي:" المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"38.

2.3.4. الفهم:

لا يمكن أن يقيم العقل البشري تفاعلا مع المحيط الخارجي دون أن يدرك معطياته ويفهمها اعتمادا على خبراته وتجاربه الذاتية، ذلك أنّ حدوث الفهم يكون من جهة الدلالة فبعد ان يتم استقبال المعلومة من قبل الحواس ومعالجتها وترجمتها في النظام الطرفي بالدماغ تأتي عملية الفهم بربط مضمون هذه المعلومة بالخبرات المكتسبة حولها في النظام المركزي، وهو ما يصطلح عليه في التداولية المعرفية بالخلفية المعرفية التي يمتلكها المتلقي لتساعده في فهم الأشياء ومعالجتها عرفانيا في الذهن.

تعرض أسلافنا لقضية الفهم في كتبهم وأولوها عناية منذ القرن الثاني، وقد كان للجاحظ" السبق في الحديث عن قضية الفهم في البلاغة العربية حين تحدث عن أهمية الاستقبال الذهني عند المتلقي وأكد على ضرورة حدوث عنصر التأثير فيه، ليتمكن من فهم مقصد المتكلم"39؛ يقول الجاحظ:" ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه متخيرا من جنسه، وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد حبّب إلى النفوس واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وخفّ على ألسنة الرواة، وشاع في الآفاق ذكره، وعظم في الناس خطره، جلبت إليه المعاني وسلس له النظام، وكان قد أعفى المستمع من كدّ التكلّف وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهّم"40.

وما ذكره الجاحظ في بيانه نجد ابن طباطبا يشير إلى المعاني ذاتها، فذهب إلى أنّه" إذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوما مصفى من كدر العيّ، مقوّما من أود الخطأ واللحن، سالما من جور التأليف،

موزونا بميزان الصواب لفظا ومعنى وتركيبا اتسعت طرقه ولطفت موالجه، فقبله الفهم وارتاح له وأنس به"41.

ونجد سيبويه يطرح مسألة حصول الفهم يكون بدون الخطأ حين قسّم الكلام بحسب قدرة المتلقي فقال:" المحال: وهو ما لا يصح له معنى كأن ينقض أوّل الكلام بآخره، مثل أتيتك غدا وسآتيك أمس، والمستقيم الحسن: مثل أتيتك أمس، وسآتيك غدا؛ والمستقيم الكذب: مثل حملت الجبل، وشربت ماء البحر؛ والمستقيم القبيح: أن يوضع اللفظ في غير موضوعه مثل: قد زيدا رأيت، وكي زيدا يأتيك؛ والمحال الكذب: مثل سوف أشرب ماء البحر أمس"42.

وكمحصلة لهذا العنصر أمكننا القول أن الدارسين العرب قد تفطنوا لأهمية حصول الفهم لدى المتلقي بوصفه عملية عرفانية لا يستقيم حال التواصل إلا بحصولها، لذلك راحوا يضعون شروطا الواجب توفرها في الكلام حتى يستقيم وضعه.

5.بيبليوغرافيا اللسانيات العرفانية العربية؛ المأمول43

نحاول في هذا العنصر أن نشير إلى أهم الكتابات المعاصرة التي نادت بتأسيس نظرية عرفانية من خلال كتاباتها، مؤكدة على أنها نظرية يمكن أن تقدم خدمة جليلة في تحليل الخطابات؛ وإذا رحنا نلمس هذه الكتابات في وطننا العربي فإننا نجد الباحثين التونسيين قد كان لهم قصب السبق في بلورة معالم هذه النظرية من خلال اطلاعهم على الكتابات التراثية والكتابات الغربية؛ ولعل أبرز الشخصيات التي كانت لها اليد الطولى الباحث الأزهر الزناد من خلال كتبه: (النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية)، وكتاب (نظريات لسانية عرفنية)، وكتاب (اللغة والجسد)؛ ونجد للباحث صابر الحباشة جملة من المؤلفات نذكر منها تمثيلا: (أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب مقاربات عرفانية تداولية) و(الدلالة والسيمياء والمعرفة) و(في المعنى مباحث دلالية معرفية) و(اللغة والمعرفة رؤية جديدة) و(مسارات اللغة والمعرفة) و(إطلالات متجددة على علم الدلالة العرفني)؛ والباحث توفيق قريرة الذي تحدث عن بعض القضايا العرفانية من خلال المؤلفات: (الاسم والاسمية والاسماء في اللغة العربية مقاربة نحوية عرفانية) و(الشعرية العرفانية مفاهيم

وتطبيقات) و(العرفاني في الاصطلاح اللغوي)؛ والباحث عبد الرحمن طعمة من خلال مؤلّفَين هما: (البناء العصبي للغة دراسة بيولوجية تطورية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية) و(ميكانيزمات الإدراك في العقل البشري)؛ وألف عطية سليمان كتابين هما: (الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية) و(الإشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية)؛ ومن الباحثين أيضا في هذا المجال الدكتور عمر بن دحمان من خلال بحثين: بحث موسوم: (المعرفة–الإدراك–العرفنة بحث في المصطلح) و الآخر معنون: (بعض مشاريع البلاغة المعرفية).

أما محي الدين محسب فقام بتأليف كتاب (منهجية دراسة الاستعارة من الأساس اللغوي إلى التأسيس الإدراكي) وكتاب (الإدراكيات)؛ وقام محمد الصالح البوعمراني بتقديم بعض العناوين على غرار: (الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي)، و(دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني)، و(السيميائيةالعرفانية الاستعاري والثقافي)؛ وألّف عمرو الشريف كتابا موسوما (ثم صار المخ عقلا)، وقدم فليسي أمين كتاب (ملامح العرفنية وعلاقتها بالتداولية الغرايسية)، وألّف كمال شاهين كتابا وسمه (نظرية النحو العربي القديم دراسة تحليلية للتراث اللغوي العربي من منظور علم النفس الإدراكي)؛ ومن هذه الدراسات أيضا، دراسة (النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي) لصالح رمضان، و(إشكالية الوجود الذهني في الفلسفة الإسلامية) لعادل محمود بدر، و(المنوال المنهاجي والرهان العرفاني) لعامر الحلواني، وكتاب (بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة عرفانية) لعبد الإله سليم، وكتاب (مدخل إلى النحو العرفاني –نظرية رونالد لانجاكر) لعبد الجبار بن غريبة، وكتاب (إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين) لعز الدين مجذوب....وهلم جرا.

هذه الدراسات وغيرها خاصة ما كتب منها بالعربية أعتقد أنها ساهمت ولو بحظ في تأسيس نظرية لسانية عرفانية سيكون لها شأن في المستقبل القريب في دراسة اللغة العربية على وجه الخصوص.

6.الخاتمة:

نجمل القول في آخر هذه الورقة فنقول:

- لا يمكننا الحديث عن نظرية عرفانية عربية معاصرة لها أسس وقواعد بدون العودة إلى الجهود التي أقاموها علماؤنا.
- أكّدت هذه الدراسة على أنّ الممارسات النقدية والبلاغية لدى علمائنا القدامى كانت بمثابة الانطلاقة الفعلية لميلاد نظرية لسانية عرفانية حمل لواءها الغربيون في القرن الواحد والعشرين.
- أكّد البحث أنّ أساس النظرية اللسانية العرفانية تشترك فيها ثلاثة أثافي: عرفانية المتكلم وعرفانية الخطاب وعرفانية المتلقي؛ فقوام الأول ينبني على الدافعية والذكاء والإدراك والذاكرة، والثاني يتأسس على النظم وتمثيل المعاني، أما الثالث فركيزته الاستدلال والفهم.
- توصل البحث إلى أن هناك أبحاث ودراسات عربية صرفت أقلامها تلقاء هذا العلم بمعالجة قضاياه وتثوير مفاهيمه.
- لتحقيق نظرية لسانية عرفانية لابد من تكثيف الجهود باحثين وأساتذة متخصصين، وتكوين طلبة الدراسات العليا، وفتح مخابر بحث، وعقد الندوات والمؤتمرات لتبادل الخبرات، وإقامة دورات تكوينية على مدار السنوات.

7.قائمة المصادر والمراجع:

- الاستعارة في نماذج من شعر محمود درويش، الميلود حاجي، مجلة فصول ، العدد100، المجلد25، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، عطية سليمان أحمد، حقوق النشر للمؤلف.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، لبنان، 2009.
- بيبلوجرافيا عربية، إعداد الضوي محمد الضوي، ضمن مجلة فصول ، العدد100، المجلد25، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998.

- البلاغة والنقد (النشأة والمصطلح والتجديد)، محمد كريم الكواز، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2006.
- جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب، ابن السراج، تحقيق محمد قرقزان، الهيئة السورية العامة للكتاب، 2008.
- الدافعية والانفعال، إدوارد موراي، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، دار الشروق، القاهرة، 1988.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1988.
- اللّسانيّات العرفانيّة واللّغة العربيّة، ندوة دولية، تاريخ الانعقاد: 4-5-6أفريل 2017، الجهة المنظمة: مخبر البحث في اللغة والمعالجة الآلية بكلية الآداب والعلوم الانسانية بصفاقس، تونس، اطلع عليه بتاريخ 22أوت 2019، الموقع: https://diae.net/27637/
- ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، صليحة شتيح، مجلة فصول، المجلد25، العدد100، 2017.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.
- النص والخطاب مباحث لسانية عرفانية، الأزهر الزناد، ط1، دار محمد علي للنشر، 2011.
- النقد المعرفي في الدرس البلاغي، آزاد حسّان شيخو، عالم الكتب الحديث، إربد، 2013.
- علم الدلالة العرفاني، هبة عبد الرحمن سلام، مجلة فصول ، العدد100، المجلد25، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- العلم الإدراكي واللسانيات الإدراكية للكاتبة زينايدابوبوفا، تحسين رزاق عزيز، تاريخ المقال: 08/02/2018، http://www.alnoor.se/article.asp?id=333721، اطلع عليه بتاريخ: 2019/08/21.

- عيار الشعر، محمد بن طباطبا، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005.
- علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، يوسف العتوم، دار المسيرة، عمان، 2004.
- علم النفس المعرفي، رافع النصير الزغلول وعماد عبد الرحيم الزغلول، دار الشروق، عمان، (د.ت).
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، ط5، 1981.
- في نظرية الأدب، شكري عزيز ماضي، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963.
- تلقي اللسانيات العرفانية في الخطاب اللساني العربي الأزهر الزناد والصالح البوعمرانيأنموذجا)، كرميش حنان.
- Dan sperber et Deiderwilson ;la pertinence communication et cognition ; les editions de minuit ;1989

8.الهوامش:

1/ كتاب علم الدلالة العرفاني، هبة عبد الرحمن سلام، مجلة فصول ، العدد100، المجلد25، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص603.

2/ الاستعارة في نماذج من شعر محمود درويش، الميلود حاجي، مجلة فصول ، العدد100، المجلد25، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص431.

3/ اللّسانيّات العرفانيّة واللّغة العربيّة، ندوة دولية، تاريخ الانعقاد: 4-5-6أفريل 2017، الجهة المنظمة: مخبر البحث في اللغة والمعالجة الآلية بكلية الآداب والعلوم الانسانية بصفاقس، تونس، اطلع عليه بتاريخ 22أوت 2019، الموقع: https://diae.net/27637/

4/ العلم الإدراكي واللسانيات الإدراكية للكاتبة زينايدابوبوفا، تحسين رزاق عزيز، تاريخ المقال: 08/02/2018، http://www.alnoor.se/article.asp?id=333721، اطلع عليه بتاريخ: 2019/08/21.

5/ النص والخطاب مباحث لسانية عرفانية، الأزهر الزناد، ط1، دار محمد علي للنشر، 2011، ص22)

6/ المرجع نفسه، ص23.

7/ الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، عطية سليمان أحمد، حقوق النشر للمؤلف، ص23.

8/ تلقي اللسانيات العرفانية في الخطاب اللساني العربي الأزهر الزناد والصالح البوعمرانيأنموذجا)، كرميش حنان، ص148.

9/ البلاغة والنقد (النشأة والمصطلح والتجديد)، محمد كريم الكواز، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2006، ص200.

10/ ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، صليحة شتيح، ، 2017، 384-385 (بتصرف).

11/ المرجع نفسه، ص385.

12/ ينظر على سبيل المثال من تطرق إلى دور الدافعية في توجيه الشاعر نحو قول الشعر وفق ما يقتضيه الغرض والمقام، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق الحبيب ابن الخوجة، الدار العربي للكتاب،تونس، 2008، ص11.ومفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص168.

13/ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

14/ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، ط5، 1981، 120/1.

15/ الدافعية والانفعال، إدوارد موراي، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، دار الشروق، القاهرة، 1988، ص51.

16/ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963، 418/3-419.

17/ في نظرية الأدب، شكري عزيز ماضي، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993، ص138.

18/ ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، ص387.

19/ الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص23.

20/ ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، صليحة شتيح، ص387.

21/ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص406-407.

22/ علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، يوسف العتوم، دار المسيرة، عمان، 2004، ص34.

23/ ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، ص389 (بتصرف).

24/ أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، لبنان، 2009، ص92.

25/ ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، ص390.

26/ علم النفس المعرفي، رافع النصير الزغلول وعماد عبد الرحيم الزغلول، دار الشروق، عمان، (د.ت)، ص180.

27/ ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، ص392.

28/ جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب، ابن السراج، تحقيق محمد قزقزان، الهيئة السورية العامة للكتاب، 2008، 299/1.

29/ ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، ص393.

30/ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984، ص50.

31/ ينظر: ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، ص 394.

32/ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص18.

33/ النقد المعرفي في الدرس البلاغي، آزاد حسّان شيخو، عالم الكتب الحديث، إربد، 2013، ص72.

34/ ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، ص 395.

35/ Dan sperber et Deiderwilson ;la pertinence communication et cognition ; les editions de minuit ;1989 ; p107.

32/ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، 36/1

37/ دلائل الإعجاز، ص262.

38/ المرجع نفسه، ص263.

39/ ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، 398.

40/ البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، 8/2.

41/ عيار الشعر، محمد بن طباطبا، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005، ص20-21.

42/ الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1988، 1/25-26.

43/ اعتمدنا في سرد هذه القائمة على ما جاء في بحث موسوم (بيبلوجرافيا عربية)، إعداد الضوي محمد الضوي، ضمن مجلة فصول ، العدد100، المجلد25، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص637-639.